

روح المعاني

المعنى الظاهر ولنجعلك آية أي دليلا للناس بعثناك وانظر إلى العظام من القوى كيف ننشزها ونرفعها عن أرض الطبيعة ثم نكسوها لحما وهو العرفان الذي يكون لباسا لها وعبر عنه باللحم لنموه وريادته كلما تغذت الروح بأطعمة الشهود وأشرية الوصال والمعنى الظاهر ظاهر فلما تبين ووضح له ذلك قال أعلم علما مستمرا إن ^ا على كل شيء ومن جملته ما كان قدير لا يستعصى عليه ولا يعجزه وإذ قال إبراهيم بيان لتسديد المؤمنين إثر بيان ولمغايرته لما تقدم كما سنشير إليه إن شاء ^ا تعالى غير الأسلوب والطرف منتصب إما بمضمر صرح بمثله في قوله تعالى : واذكروا إذ جعلكم خلفاء وإيجاب ذكر الوقت إيجاب لذكر ما فيه بطريق برهاني وإما بقال الآتى وقد تقدم تحقيق ذلك رب كلمة استعطاف شرع ذكرها قبل الدعاء مبالغة في استعداد الإجابة أرنى من الرؤية البصرية المتعدية بهمزة النقل إلى مفعولين فالباء مفعوله الأول وقوله تعالى : كيف تحي الموتى في محل مفعوله الثانى المعلق عنه وإلى ذلك ذهب أكثر المعربين واعترض بأن البصرية لا تعلق وأجيب بأن ذلك إنما ذكره بعض النحاة ورده ابن هشام بأنه سمع تعليقها وفى شرح التوضيح يجوز كونها علمية ومن الناس من لم يجعل ما هنا من التعليق في شيء وجعل كلمة كيف الخ في تأويل مصدر هو المفعول كما قاله ابن مالك في قوله تعالى : وتبين لكم كيف فعلنا بهم ثم الاستفهام بكيف إنما هو سؤال عن شيء متقرر الوجود عند السائل والمسؤل فالاستفهام هنا عن هيئة الإحياء المتقرر عند السائل أي بصرنى كيفية إحيائك للموتى وإنما سأله عليه السلام لينتقل من مرتبة علم اليقين إلى عين اليقين وفى الخبر ليس الخبر كالمعانية وكان ذلك حين رأى جيفة تمزقها سباع البر والبحر والهواء قاله الحسن والضحاك وقتادة وهو المروى عن أهل البيت وروى عن ابن عباس والسدى وسعيد بن جبیر أن الملك بشره عليه السلام بأن ^ا تعالى قد اتخذ خليلا وأنه يجيب دعوته ويحي الموتى بدعائه فسأله لذلك وروى عن محمد بن إسحق بن يسار أن سبب السؤال منازعة النمرود إياه في الإحياء حيث رد عليه لما زعم أن العفو إحياء وتوعده بالقتل إن لم يحي ^ا تعالى الميت بحيث يشلهده فدعا حينئذ قال استئناف مبنى على السؤال والضمير للرب أو لم تؤمن عطف على مقدر أي ألم تعلم ولم تؤمن بأنى قادر على الإحياء كيف أشاء حتى تسألنى عنه أو بأنى قد اتخذتك خليلا أو بأن الجبار لا يقتلك قال أي إبراهيم بلى آمنت بذلك ولكن سألت ليطمئن أي يسكن قلبي بمضامة الأعيان إلى الإيمان والإيقان بأنك قادر على ذلك أو ليطمئن قلبي بالخلة أو بأن الجبار لا يقتلنى وعلى كل تقدير لا يعود نقص على إبراهيم من هذا السؤال ولا ينافى منصب النبوة أصلا وللناس ولوع بالسؤال عن هذه الآية :

وما ذكر هو المشهور فيها ويعجبنى ما حرره بعض المحققين في هذا المقام وبسطه في الذب عن الخليل عليه السلام من الكلام وهو أن السؤال لم يكن عن شك في أمر ديني والعياذ بالله ولكنه سؤال عن كيفية الأحياء لحيط علما بها وكيفية الإحياء لا يشترط في الإيمان الإحاطة بصورتها فالخليل عليه السلام طلب علم ما لا يتوقف الإيمان على علمه ويدل على ذلك ورود السؤال بصيغة كيف وموضوعها السؤال عن الحال ونظير هذا أن يقول القائل : كيف يحكم زيد في الناس فهو لا يشك أنه يحكم فيهم ولكنه سأل عن كيفية حكمه المعلوم ثبوته ولو كان سائلا عن